وقد أشير إلى كل في قوله تعالى : وأما ثمود فهديناهم على وجه وأن شهادتهما فيما يتعلق بالكفر فيشهد السمع عليهم أنهم كذبوا بالآيات التنزيلية التي جاء بها الرسل وسمعوها منهم والأبصار أنهم لم يعبئوا بالآيات التكوينية التي أبصروها وكفروا بما تدل عليه ولعل شهادة الجلود فيما يتعلق بما سوى الكفر من المعاصي التي نهي عنها الرسل عليهم السلام كالزنا مثلا وجوز أن تكون شهادة السمع بإدراك الآيات التنزيلية والأبصار بإدراك الآيات التكوينية والجلود بالكفر بما يقتضيه كل وبالمعاصي الأخر ولا بعد في شمول ما كانوا يعملون لإدراك الآيات والإحساس بها بقسميها فتدبر .

ولعل قوله تعالى : لم شهدتم سؤال عن العلة الموجبة وصيغة جمع العقلاء في شهدتم وما بعد مع أن المراد منه ليس من ذوي العقول لوقوع ذلك في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء وقرأ زيد بن علي لم شهدتن بضمير المؤنثات قالوا أنطقنا ا الذي أنطق كل شيء أي أنطقنا ا تعالى وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما علمتم من القبائح وما كتمنا وحيث كان معنى السؤال لأي علة موجبة شهدتم صلح ما ذكر جوابا له وقيل : لا قصد هنا للسؤال أصلا وإنما القصد إلى التعجب ابتداء لأن التعجب يكون فيما لا يعلم سببه وعلته فالسؤال عن العلة المستلزم لعدم معرفتها جعل مجازا أو كناية عن التعجب فقد قيل : إذا ظهر السبب بطل العجب فكأنه قيل : ليس نطقنا بعجب من قدرة ا تعالى الذي أنطق كل شيء وأيا ما كان فالنطق على معناه الحقيقي كما هو الظاهر وكذا الشهادة ولا يقال : الشاهد أنفسهم والسمع والأبصار والجلود آلات كاللسان فما معنى شهدتم علينا لأنه يقال : ليس المراد هذا النوع من النطق الذي يسند حقيقة إلى جملة الشخص ويكون غيره آلة بلا قدرة وإرادة له في نفسه حتى لو أسند إليه كان مجازا كإسناد الكتابة إلى القلم بل هو نطق يسند إلى العضو حقيقة فيكون نفسه ناطقا بقدرة وإرادة خلقهما ا تعالى فيه كما ينطق الشخص بالآلة وكيف لا وأنفسهم كارهة لذلك منكرة له وقيل : الناطق هم بتلك الأعضاء إلا أنهم لا يقدرون على دفع كونها آلات ولذا نسبت الشهادة عليهم إليها وليس بشيء وجوز بعضهم أن يكون النطق مجازا عن الدلالة فالمراد بالشهادة ظهور علامات على الأعضاء دالة على ماكانت ملتبسة به في الدنيا بتغيير أشكالها ونحوه مما يلهم ا تعالى من رآه أنها تلبست به في الدنيا لارتفاع الغطاء في الآخرة وهو خلاف ظاهر الآيات والأحاديث ولا داعي إليه وعلى الظاهر لا بد من تخصيص كل شيء بكل حي نطق إذ ليس كل شيء ولا كل حي ينطق بالنطق الحقيقي ومثل هذا التخصيص شائع ومنه ما قيل في وا على كل شيء قدير وتدمر كل شيء وجوز أن يكون النطق في أنطقنا بمعناه الحقيقي

ويحمل النطق في أنطق كل شيء على الدلالة فيبقى العام على عمومه ولا يحتاج إلى التخصيص المذكور ويكون التعبير بالنطق للمشاكلة وهو خلاف الظاهر والموصول المشعر بالعلية يأباه إباء ظاهرا وقوله تعالى : وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون .

21 .

- يحتمل أن يكون من تمام كلام الجلود ومقول القول ويحتمل أن يكون مستأنفا من كلامه D والأول أظهر والمراد على كل حال تقرير ما قبله بأن القادر على الخلق أول مرة قادر على الإنطاق وصيغة المضارع إذا كان الخطاب يوم القيامة مع أن الرجع فيه متحقق لا مستقبل لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد إلى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع وجوز أن تكون لاستحضار الصورة مع ما في ذلك من مراعاة الفواصل وقوله تعالى :